1

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



اهداءات ٢٠٠٢

مركز العالمية لدراسات و ابحاث الكتاب الاخضر

ليبيا

سلسلة روايات الشباب 1

الخضراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى
1988 م.

هاتف: 40705 - 45565 ـ مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 ـ طرابلس ـ الجماهيرية

الخضراء ، بلدة جميلة ، سكانها طيبون ، يحبّون الأرض ولا يجدون السعادة إلاّ فى العيش والعمل فيها . وهم عندما يعملون لا يشعرون بالتعب ، لأنهم يعملون بفرح وسرور . حتى أن العمل الشاق كان يبدو سهلاً .

البيوت فى بلدة الخضراء ، تتألف جميعها تقريباً من طبقة واحدة. والشمس

حاضرة فى بيوت الخضراء ، فى معظم ساعات النهار . تدخل صباحاً من الأبواب ، وتودّع مساءً من النوافذ ، لذا ، كان أهالى البلدة لا يحتاجون الأطباء إلاّ نادراً . فالبيت الذى تدخله الشمس ، لا يدخله الطبيب . وإن حدث أن أصيب أحد أبناء الخضراء بمرض كانت تتم معالجته بالأعشاب البرية حتى إذا لم تنفع المداواة بالأعشاب حمل إلى الطبيب فى المدينة البعيدة ، كأن يكون بحاجة إلى عملية جراحية . . . تعوَّد الفلاحون فى البلدة أن ينشدوا أغنية فى الأمسيات ، وخلال مواسم الزرع والحصاد ، أغنية مطلعها :

يا بلدتى الخضرا زفّى لنا البشرى
من أرضك المعطاء قمحاً وزيتوناً
تيناً وليموناً



● ثم تردّد الصبايا:
وردةٌ بيضاء
للحلوة السمراء

حفظ أطفال القرية هذه الأغنية ، مثلما حفظوا أسماءهم ، لكن المتقدمين فى السن ، من شيوخ القرية وعجائزها ، كانوا يقولون خلال أحاديثهم : قبل عشرين عاماً ، كانت بلدة القفراء . . . كذا وكذا . . . ويأتى احتجاج الأطفال والفتيان : بل هى بلدة «الخضراء» ، فيحكى الشيوخ حكاية البلدة القفراء التى غيرت اسمها فصارت تدعى «الخضراء».

تقول الحكاية:

كان مما كان من سالف الزمان، بلدة صغيرة، أطلق عليها أهالى القرى المجاورة اسم بلدة «القفراء» لأن حقولها

كانت خراباً، وأشجارها يابسة. ورجالها وأطفالها بائسون حزينون، تعساء. يسكنون فى بيوت حقيرة، ولا يشعرون بأى سعادة، حتى لو كانت السعادة تملأ الكون.

وكان يحكم بلدة القفراء حاكم جاهل وجائرٌ ومستغل . . . يأخذ من سكان البلدة معظم ما ينتجونه من الحقول والبساتين، يساعده بعض أزلامه المسلحين بالبنادق ضد الفلاحين الفقراء العزل من السلاح . تعوَّد الفلاحون الإذعان لأوامر هذا الحاكم، بعدما لاقوا من ظلمه ما لا يوصف فكم من مرة لاقى معارضو هذا الحاكم مصرعهم فى ظروف غامضة . . . خلال انتقالهم إلى العمل فى الحقول البعيدة.

ومما يُحكى من جور هذا الحاكم الفاسد ، أنه التقى مرة بطفل يحمل

برتقالتين ، فنادى الطفل قائلاً له: من أين لك هاتين البرتقالتين؟

أجاب الطفل: من بستاننا.

نهره الحاكم بغضب قائلاً : هو بستانى ، وما والدك سوى أجير يعمل عندى . ومن قال لك إن البستان ملك لوالدك . سوف ألقن أباك درساً لا ينساه، إن تأكدت أنه هو مصدر هذا الكلام.

ثم تناول البرتقالة من يد الطفل ورماها أرضاً ، وداسها بقدمه وانصرف . وعندما سأله أحد أعوانه عن سبب سلوكه هذا ، الذى ينمّ عن الخسة والبخل ، أجاب: إذا لم يتعلم الطفل أنى سيّد هذه الأرض منذ الآن، وإذا قبلت بأن يأخذ البرتقالة، فلابد من أن يطالب بالبستان عندما يكبر. وأضاف الحاكم بعدما وضع يده على

شاربه بزهو وكبرياء ، يجب أن نزرع هذه الفكرة فى عقول الصغار ، كـمـا يزرع أباؤهم الغرسات فى الأرض . . .

حدث ذلك فى ساحة بلدة «القفراء» وأمام أطفال القرية جميعاً، وبحضور عدد من الرجال والنساء . ثم تكررت حوادث الظلم ، وتفشّى اليأس والملل فى نفوس الفلاحين ، فأهملوا الأرض ، حتى إذا سئـل أحدهم لمـاذا لا تهتم بـأشجـار البستان ، أجاب :

ولِمَ أهتم بهـا ، أمن أجـل قـدم الحاكم . . . أنا لا أريد أن أرى ثمار تعبى تداس تحت الأقدام . لست مبالٍ إن كان الموسم جيداً، أو إذا جاء قاحلاً، ففى الحالتين لن أجنى سوى الخيبة والفقر والإحساس بالظلم والاستغلال . . .

كان الفلاحون فى بلدة «القفراء» يسوقون أنفسهم إلى العمل قسراً دون أية رغبة فى العمل الذى لا يجنون منه سوى التعب . كانوا يعيشون حياة اليأس والقنوط والملل وعدم الاكتراث . وقد انتقلت العدوى من الفلاحين إلى الأرض ، فأصيبت هى الأخرى باليأس ، فأجدبت ، وبدت بساتينها للناظر من بعيد ، كتلة من الإصفرار ، لا حياة فيها ، فسميت بلدة القفراء . . . فكل شىء بدا مقفراً ، الشوارع والحقول ، حتى أن القلوب أقفرت من الحب والوجوه أقفرت من البهجة والفرح .

ذات يوم ، وبينما كان رجال القرية وشبابها ، جالسين فى ساحة القرية ، يتحدثون عن ظلم الحاكم ولؤمه ، مرَّ بهم رجل من أبناء القرية ، ولم يُلقِ التحية .

غضب الـرجال من سلوكـه الغـريب ، وصرخوا به :

* لماذا لا تلقى التحية على الرجال، يا هـذا . . . ألا تخجل من نفسـك ومن الرجال؟

فأجاب من دون أن ينظر إليهم :

* لـو كنتم رجالاً، لمـا قبلتم العيش تحت ظلم رجل واحد ، يتحكم بكم ، وينهب أرضكم ، ويسرق لقمة أطفالكم ، وأنتم قابعون هنا ، تتحدثون عن الظلم ، ولا تفعلون شيئاً لمقاومته ، ورفعه عنكم . قوموا وافعلوا شيئاً لدفع الظلم عنكم وعن أطفالكم . . . عن أرضكم وتعبكم.

قـال الـرجـال: بـل نحن رجـالٌ ، ونستطيع تلقينك درساً لا تنساه. إنك توجه لنا جميعاً إهانة كبيرة . . . من تكون أنت

حتى تجرؤ على هذا الكلام ، ثم وقف أحدهم وهمَّ بضرب الرجل .

ابتسم الرجل وقال: إذا كنتم تشعرون بالإهانة، فانظروا في أية حال أنتم؟ . . . فأيهما الإهانة الحقيقية: كلمتى لكم ، أم ظلم الحاكم ، الذى يـذيقكم الإهانـة والـذل كل يـوم ، بل فى كـل صباح وغروب . أيهما الإهانة التى تستحق الثأر للكرامة، ثم تابع سيره وانصرف.

سمعت إحـدى الصبايـا ما دار من حديث بين الرجال ، فخرجت من دارها وقالت: أنا أوافق هذا الرجل فيما قاله ، وقد اجتمعنا ، نحن الصبايا ، وفكـرنا بالإضراب عن الزواج من شباب القرية ، حتى يثبتوا أنهم رجال حقاً . وأضافت تلك الفتاة أنا أعرف أن ما قاله الرجل قد



جرح شعوركم كثيراً، لقد قال الحقيقة والحقيقة جارحة وما أن انتهت من كلامها حتى قفلت عائدة إلى بيتها وصفقت الباب خلفها بقوة لفتت أنظار جميع الـرجال الجالسين.

نظر الرجال إلى بعضهم بعضاً ، دون أن ينطق أحدهم بكلمة واحدة . كانوا جميعاً مطأطئى الرؤوس ، ينظرون إلى الأرض ساهمين، وفجأة . . . دوّى صوت كالرعد ، صرخ الجميع بصوت واحد: لا للظلم ، أجل نحن الرجـال ، وسنثبت ذلك . سنثبت أننا الرجال القادرون على قهر الظلم والاستغلال.

من على مئذنة جامع بلدة «القفراء» ، وقبيل صلاة الظهر ، صدح صوت ينادى: حيّ على الجهاد . . . كانت هذه العبارة

كالنار فى الهشيم ، وكان أهالى البلدة ينتظرون هذه الدعوة منذ زمن بعيد.

وبعد ساعـة ، كان أهـالى البلدة ، يعقدون اجتماعاً شعبياً عفوياً ضم جميع السكان ، اتفقوا خلاله على أن تكون الأرض لمن يــزرعهــا ، والبيت لمن يسكنه ، ولا سلطة فوق سلطة أهـالى القرية مجتمعين . . . وتعـاهدوا بعـدما أقسموا اليمين أن لا عودة عن مطالبـهم هذه ، مهما كلفهم ذلك من تضحيات.

كان قرارهم إنذاراً ببدء حياة جديدة لا مكان فيها للسادة والعبيد . لا مكان فيها لقهر الإنسان واستغلاله. . .

أما حاكم البلدة فكان يسمع من قصره الجلبة والصراخ، فظن أن الأهالى يقيمون حفلة لصراع الديوك التى اعتادوا إقامتها .

فامتطى الحاكم جواده ، وسار مسرعاً إلى ساحة البلدة ، يتبعه أعوانه . وما أن وصل ، حتى صرخ:

إفسحوا المجال لنرى حلقة الصراع . . ابتعدوا وصفّوا المقاعد لى ولرجالى ، أنا أحب الديوك كثيراً، خاصة تلك التى تثبت رجولتها فى حلقة الصراع ولا تتركها مهزومة ذليلة.

أجاب السكان بصوت واحد:

حفلة الصراع هذا اليوم ، ليست بين الديوك ، بل هى بين البشر ، بين الظالم والمظلوم ، بين المستغِل والمستغَل. . . وهجم الجميع على الحاكم هجمة رجل واحد ، حاول الحاكم الهرب فلم يفلح ، لقد أحاط به رجال البلدة من كل الجهات .



ألقى القبض على الحاكم الظالم ، وتخلّى عنه أعوانه إلاّ واحداً ، بقى يطلق الرصاص على الرجال الذين هاجموه بالعصى والخناجر وهم يتلقون الرصاص بصدورهم غير آبهين بالموت، حتى أن رجلاً استشهد بالرصاصة الأخيرة وهو يمسك بالبندقية.

استشهد خمسة من شباب القرية، وعندما فرغت جعبت حارس الحاكم الظالم من الرصاص ألقى القبض عليه ونفذ به وبسيده حكم الإعدام فى ساحة القرية. . . صدر حكم الإعدام من جميع أهالى القرية من دون استثناء ومن غير معارضة.

ثم تمّ اختيار لجنة من رجال البلدة لتنفيذ قرارات أهل البلدة على أن تكون السلطة فى يد كل أهالى البلدة، ويكون

لاجتماع أهالى البلدة الحق فى نزع أعضاء اللجنة المختارة من السلطة، ساعة يشاء. . . هذا الأمر جاء بشكل عفوى وطبيعى. لقد كان موجوداً فى نفوس أبناء الخضراء. . . وعندما طرحه أحد الرجال وهو يمتطى صهوة جواده وافق عليه الجميع.

وأول عمل قامت به السلطة الجديدة، هو تغيير اسم البلدة، التى أصبح اسمها بلدةً الخضراءً. . . . لماذا الخضراء . . . لأن «الإخضرار» رمز الحياة والتجدد الدائم، وهو لون الحياة ولون الأمل.

وهكذا، نعمت البلدة بنظام جديد، أتاح لكل مواطن أن يشارك مشاركة حقيقية فى جميع النشاطات، وأن صفة المسؤولية لا تكون إلّا لمن يبدى المزيد من العطاء

والتبرع بوقته وتعبه فى سبيل خدمة البلدة وإنمائها، وأن نزع صفة المسؤولية عن أى إنسان أمرٌ يتم فى الوقت الذى يشعر الأهالى، أنه حاد عن مصالح أهالى البلدة... من خلال ذلك بدأت الحياة تدب بالأرض، وبدا الأمل يكبر فى النفوس ، اتسعت خطى الفلاحين خلال ذهابهم للعمل بالحقول ، حتى بدا كل شىء الشجر والبشر والحجر ينضح بالحياة والتجدد . . . الزيتونه اليابسة نبـت إلى جانب جذعها فرع أخضر ، قال أحـد الفـلاحين : إنه جـذرٌ رفض الموت ، وعندما عادت الحياة إلى التربة، استيقظ من سباته ونومه ، لكن فلاحاً آخر قال ضاحكاً : بل أننى سقيت جذع الزيتونة لعدة أيام فضحك الجذر ، وهذا الفرع هو ابتسامة الأرض.

عـادت الابتسـامـة إلى الأرض ، وأشرقت الوجوه بابتسامات العطاء ، وكل شيء أصفـر كالمـوت ، صـار أخضـر كالحياة . هي الأرض تعطي بسخاء من يعطيها من جهده وتجود على من يكون كريماً ومحباً في عطائه، وتبخل على من يكون بخيلاً.

في بلدة «الخضراء» تحولت المواسم إلى أعـراس، يُزَف فيهـا حب الأرض لأبنائها، فتدر عليهم الخير والبركات. . . صار العمل عرساً، والقطاف فرحة كما هي فرحة الأم والأب بالمولود الجديد.

حكاية الحاكم الظالم هذه، حفظها أطفال البلدة وشبابها ، نساؤها ورجالها ، فتيانها وفتياتها ، حتى إذا حصلت أية إساءة، عقد في القرية اجتماعاً شعبياً يعيد الأمور إلى نصابها . وهكذا عاش الناس

فى نعيم الحرية التى تنفسوها مع هواء الحقول ، حتى ذلك الصباح من شهر الصيف، حيث كان الفلاحون يصدحون بالأغنية التى ردَّدها الجميع :

يا بلدتى الخضرا زفى لنا البشرى . . .

* * *

لم يكن سكان البلدة يعلمون أن شيئاً ما ينتظرهم . عندما ظهرت فى السماء سحابة سوداء، ثم لمع برق ودوى رعد ، واكفهرت السماء كالحة كغابة سوداء ، وهطل المطر غزيراً وسط ذهول الفلاحين ودهشتهم ، ثم ظهرت فى السماء أسراب من الغربان ، وانطلق عواء الذئاب وبنات آوى. وهبت ريـاح عـاتيـة اقتـلعت الأشجار ، فاندفع الفلاحون مسرعين نحو بيوتهم فى القرية ، تاركين غلالهم فى

الحقول تحت رحمة الأمطار والسيول والأعصار الجارف .

ظل المطر يتساقط بشكل متواصل حتى المساء ، ولم يكن هذا المطر متوقعاً ، والشباب فقدوا القدرة على التصرف . اعتقد بعضهم أنها سحابة عابرة ، وأن المطر سيتوقف بعد قليل . ضحك الشيوخ من كلام الشباب وقالوا لهم :

فكروا بغير هذا ، فالمطر سيستمر ستة أيام بلياليها ، يحصل ذلك كل مائة عام ، وفي مثل هذه الأيام ، هذا ما يعرفه وما كان يرويه آباؤ نا عن أجدادهم . . . هذا قدرٌ لا مفرٌ منه ولا محال لمقاومته .

سأل الشباب: وماذا كان الأجداد يفعلون لمقاومة العاصفة وإنقاذ الغلال؟

أجاب الشيوخ: كانوا ينتظرون سكون العاصفة وانقطاع المطر ، فيذهبون إلى



الحقـول ويجمعـون مـا تبقى لهم من الغلال . وستكون السنة التى تلى الأعصار، سنـــة تقشف وجـدب بسبب قلة المحاصيلٍ ، ثم أردف شيخ متقدم فى السن قائلاً : كانوا يسمونه عام الجوع.

ظلت السماء تمطر حتى الصباح، وجرفت كل ما كان يعترض طريقها، حتى الحجارة التى كانت تستعمل كعلامات



لحدود ملكية هذا الفلاح أو ذاك.

عادت أسراب الغربان السوداء لتحلق فوق بيوت القرية وتنعق بأصوات حادة. هذا هو الويل والنحس، لا ندرى ماذا سيحل بنا، قالت «رقية» هذه العبارات، وركضت إلى ساحة القرية وهى تحمل مبخرتها وتتمتم بكلمات غير مفهومة.

كان بعض أهالى الخضراء، وخاصة

المتقدمين فى السن منهم قد توارثوا بعض الأفكار القائمة على الشعوذة والسحر والأوهام ، وقد دفع البعض ثمن ذلك غالياً ، ففى إحدى المرّات مرض طفل مرضاً شديداً وكانت حالته الصحية تستدعى نقله إلى المستشفى على عجل لكن أم الطفل عملت بنصيحة جارتها التى قدّمت لها وصفة لا صلة لها بالعلم والطب، كانت الوصفة عبارة عن تعويذة توضع تحت رأس الطفل لمدّة ثلاثة أيام ، وعندما أنقضت الأيام الثلاثة ولم يتعاف الطفل حمله أبوه إلى المستشفى وعندما أجرى الطبيب المختص فحوصات للطفل، وجد أنه مصاب بالشلل وأن حالته بلغت حداً خطيراً، ويعدما بقى الطفل عدّة أسابيع قيد المعالجة خرج من المستشفى حياً لكنه مشلولاً من أطرافه

السفلية قال الطبيب لوالد الطفل: لو حملت طفلك إليّ قبل ثلاثة أيام لما كان أصيب بالشلل . . . وفى مرة ثانية أصيبت امرأة بحروق شديدة ، فاستمعت إلى نصائح جاراتها اللواتى أشرفن على معالجتها باللصقات والعقاقير التى يرفضها الطبُّ، فالتهبت حروقُ المرأة وماتت بعد فترة وجيزة . . .

حوادث عديدة كان ضحاياها أطفالٌ ورجالٌ ونساء وقعت فى الخضراء، وكان سببها إيمان الضحايا أو أهلهم بالشعوذة والسحر. وعندما كان الشباب يرفضون بعناد اللجوء إلى مثل هذه الأساليب فى حالات كثيرة كانوا يلقون مقاومة عنيفة من القلة المؤمنة بالشعوذة والتعويذات. وذات مرّة وبعدما ظهرت على أحد الأطفال أعراض الشلل ورفض

أهله حمله إلى الطبيب. حدث أن اجتمع بعض الشباب وحملوه عنوة عن أهله إلى الطبيب. قال الأهل يومها : نحن أحرار بالطريقة التى نعالج بها ابننا. فأجاب الشباب: قد تكونون أحرار بكل ما يتعلق بطفلكم، أحرار باختيار ثيابه وألعابه وطعامه لكنكم لستم أحراراً بأن تقتلوه. . . إن حياة الفرد فى مثل هذه الحالة هى ملك الجماعة. طفلكم طفل الخضراء وأهلها. . .

هذا العدد من المؤمنين بالشعوذة والسحر بدأ يتضاءل فبعد كل حادثة يظهر بُعد هذه الأمور عن العلم والعقل وعدم جدّتها كان بعض أنصارها يغير قناعته حتى أن شيخ المشعوذين اقسم بالله بأن لا يعودَ إلى الشعوذة ورمى أوراقه الصفراء فى بئر مهجور، إلا رقية فقد

ظلت هى الوحيدة فى الخضراء تتبع تلك الأساليب. رقية هذه تؤمن بالسحر والجان والعفاريت وتستعمل لكل حالة تعويذة فللأفاعى تعويذة ، وللحمى تعويذة ثانية وللقحط تعويذته ، وكذلك للعواصف تعويذة. تقول رقيَّة بأن جدَّها حفظها عن جدِّه، وتدعى أن سر تعويذتها هذه يعود إلى طوفان نوح لتصل نتيجة فحواها، أن نوحاً عليه السلام هو صاحب التعويذة . . وتحفظ رقيَّة أيضاً تعويذة النحس والشؤم وطرد الأرواح الشريرة . وما أن لمحت رقيَّة أحد الغربان يحط على شجرة أمام بيتها حتى طار صوابها وقالت: هذا طائر الشؤم، مصيبة كبيرة ستحل بالقرية وأهلها. . .

كان الشباب والشيوخ قد اجتمعوا فى أحد بيوت البلدة ينتظرون انقطاع المطر.

قال أحد شيوخ القرية : هذه رقيَّة تقرأ تعويذة إبعاد الشؤم وانتهاء العاصفة، وقال شيخ آخر: بقى شر العوز والجوع. . وهل يعقل أن نبقى خائفين، كما تفعل تلك الطيور الصغيرة التى تتلاعب بها الرياح.

أجاب الرجل الطاعن فى السن: لن تقدروا على أى مقاومة، يجب أن تنحنوا حتى تمر العاصفة. . . بقى خمسة أيام يصبح بعدها الخروج من البيوت ممكناً، انتظروا. . .

لا زالت تمطر، ورقيَّة واقفة فى ساحة البلدة تقرأ تعويذتها ، هبَّت ريح باردة وسقطت حباتٌ من البرد، ووقفت بومة على سطح بيت الحاكم القديم وبدأت بالنعيب.

يا للشؤم الذى حل بنا ، إنها لعنة

الحاكم حلّت بالبلدة . قالت بعض عجائز القرية هذا ومشين إلى الساحة حيث رقيّة وقد ابتلت بالمطر ووصل البرد إلى عظامها . . .

كان الشباب يجلسون في ركن من المكان الذى اجتمع فيه أهالى البلدة . . . قال أحدهم ضاحكاً:

ها هى رقية تعود مسرعة، انظروا إليها، لقد انطفأت مبخرتها، خرج الشباب ليروا رقيّة التى صرخت فى وجوههم أدخلوا، أدخلوا، النحس حلّ بالقرية . . . ضحك الشباب دفعة واحدة . لم يرق ذلك للشيوخ والعجائز الذين توجهوا باللوم إلى الشباب . . . ثم قال أحد الشيوخ موجهاً كلامه إلى الشباب: لِمَ تضحكون من رقيّة، إنها قامت بما تستطيع عمله، أما



أنتم فلم تفعلوا شيئاً . . . ولو قدمتم عملاً أفضل مما فعلته رقيَّة لكان من حقكم الضحك.

ران صمت على المكان. . . بقى الصمت هو السيد، لم تنفع تعويذة زقية ولا دعاء صفيَّة. . .

هذا يقول: عليكم بالانحناء حتى تمر العاصفة وذلك يقول: أنتم أيها الشباب لم تفعلوا شيئاً. . . والمجلس البلدى ما يزال مجتمعاً يناقش الوضع الطارىء. . . . بعد ساعات طويلة خرج رئيس المجلس البلدى يتبعه الأعضاء وتلا البيان التالى:

نحن رئيس وأعضاء المجلس البلدى المختارين من الشعب فى بلدة «الخضراء»، نقرر ما يلى:

أولاً: على سكان البلدة عموماً



ملازمة بيوتهم وعدم المغامرة بالعمل إلى أن تمر العاصفة.

ثانياً: البدء بالتقنين فى المواد الغذائية، وعدم استقبال الضيوف من أى قرية مجاورة، لأن عاماً من القلة ينتظرنا...

ثم ختم رئيس المجلس البلدى بيانه بالقول، انتهى البيان وعلى الجميع أن يتفرقوا، كل إلى بيته...

خيَّم الصمت من جديد... قطعه صياح ديكين قامت بينهما معركة من أجل حبَّة قمح سمع أهالى القرية أصوات الديكين .... وعادت إلى الذاكرة.... ذاكرة القرية حكاية الحاكم الظالم....

صرخ معظم أهالى القرية بصوت واحد: لم ينتهِ الاجتماع بعد... وإن أراد

الرئيس وأتباعه مغادرته فليفعلوا. . . نحن أهالى البلدة أحرار بتقرير مصيرنا، نحن لم نشترك بما قرر المجلس. . . وبدأ النقاش بعدما تحول الاجتماع إلى تجمع شعبى منظم لمناقشة ما تمر به القرية تحت ظروف العاصفة غير المتوقعة.

قال أحد الرجال:

من قال إننا سننحنى حتى تمر العاصفة، فمن يتعود الانحناء يبقى منحنياً حتى ولو مرّت العاصفة. وهناك شعوب انحنت لجبروت مستعبديها وهى ما تزال منحنية حتى الآن.

قال رجل آخر: عندما كان يغضب حاكم البلدة السابق، كان أهالى البلدة ينحنون أمامه، ويهربون من وجهه حتى لا ينالهم غضبه. . . ولم يكن هذا الغضب إلاّ لمصادرة أموالنا وأرزاقنا، وعندما

انتصب شهداؤنا الخمسة فى وجه الحاكم الظالم وتلقوا الرصاص بصدورهم واقفين لا راكعين رفعنا رؤوسنا. . . .

قال شاب آخر:

قـرأت فى أحـد الكتب أن بعض الحيوانات كانت تسير على اثنتين، لكنها لفرط ما انحنت صارت تسير على أربعة. وأن العبد إذا أدمن العبودية، ولم يثر على ظالميه ومستعبديه تحوّل إلى حيوان.

قال شاب صغير السن: وهل ننتظر ستة أيام حتى تذهب أتعابنا. نجلس خانعين فى بيوتنا، ننتظر تعويذات رقية وقرارات المجلس البلدى الخائف من البلل؟ .

ثم صرخ رجل بأعلى صوته: سننقذ الموسم لن يغفر لنا أبناؤنا فى المستقبل عندما يسمعون أننا قعدنا ننتظر من دون

مقاومة... وهناك من يقول أن البوم والغراب دليل النحس، ما ذنب هذه الكائنات الضعيفة، فنحن على أى حال لم نكن أفضل منها، كانت تبحث عن مخابىء لها، وها نحن مختبئون؟.

قالت إحدى العجائز وهى تصرخ بأعلى صوتها: إلزموا بيوتكم، كما قالت رقيّة فالسماء غاضبة.... فأجابها شاب، أسكتى يا جدتى، إن السماء ستغضب علينا إن لم نقم بما نرضى به أنفسنا.... لن نموت قاعدين كالحشرات فى منازلنا، فالحياة الكريمة لا يستحقها سوى الأحرار.

ثم عقّب رجل آخر على كلام من سبقه وقال: اعلموا أننا إن قعدنا عن المخاطرة فى وجه الأعصار، فستعود القعود فى وجه

أى قوى. لم يقعد أباؤ نا وأجدادنا أمام من كان يحتل أرضنا ويقهر شعبنا. رغم أن المحتل كان يملك جبروت القوة والغطرسة والتى فيها من أخطار الموت أكثر مما فى الأعصار، ثم وقف رجل متقدم فى العمر وكشف عن بعض جسمه وقال: هذه شظايا القنابل التى واجهناها بالعصى والخناجر، لقد صنعنا من الضعف قوة، بفضل إيماننا بالحياة، والبعض منًّا وخاصة مجلسنا البلدى نراه يصنع من القوة ضعف، لأنه جثّة لا حياة فيها، رقيّة لا تستحق السخرية بقدر ما يستحقها المجلس البلدى... ونادى بأعلى صوته: يا رقية تعالى واقرأى تعويذتك فوق رؤوس الشباب. فلعلً شياطين الكسل تخرج من أجسادهم.... الخوف والجبن والكسل

والقعود عن أداء الواجب هى الشياطين الحقيقية التى تسكن النفوس.

دبت فى المؤتمر عاصفة من التصفيق والحماس أقوى من تلك العاصفة التى تهب فى الخارج... وانطلق صوت كالرعد، سنعمل يداً واحدة فى وجه العاصفة. سنقف صفاً واحداً فى وجه السيل مهما كان جارفاً هيًا إلى العمل...

صرخ رئيس البلدية ومن حوله أعضاء المجلس البلدى، نحن نمثل أهالى بلدة «الخضراء».

أجاب أهالى القرية بصوت واحد:

* إن كنتم تمثلون بلدة «الخضراء»، فإن قرارتكم ستعيدها إلى سيرتها الأولى بلدة «القفراء»....

أجاب رئيس البلدية: نحن اخترنا من الشعب ولنا الحق بالتحدث باسم الشعب، فمن تمثلون أنتم.

أجاب الجميع: نحن الشعب، نحن الذين نمثل مصالح أبناء البلدة جميعاً.

غضب رئيس البلدية واعتلى مقعداً وصرخ بأعلى صوته: أنتم لا تملكون الأرض أساساً وليس لكم الحق فى جنى خيراتها، وتابع حديثه غير آبهٍ بالاحتجاج وقال:

إذا اتفقتم على من يمثلكم فأنا مستعد لمناقشته، أما إذا تكلمتم مجتمعين فلست على استعداد لسماعكم.

انتفض أحد الشباب وأجاب رئيس

البلدية وقال: الأرض لمن يزرعها، هل نسيت ذلك.

ضحك رئيس البلدية وقال للشاب:

إذن أنت الذى يمثل أهالى البلدة، أطلب إليهم السكوت وتفضل لنجتمع سوياً.

أجاب الشاب: أنا أنقل موقفى ورأى ولا أمثل سوى نفسى... نحن جميعاً نحمل رأياً واحداً، المواجهة والتصدى لكل ما يعترض مصالح بلدتنا... الإعصار والحاكم الظالم والغزاة وأنت. هيا إلى العمل، ليس لدينا وقت نضيعه.

وانطلق سكان البلدة نحو الحقول يتحدون العاصفة.

وهم ينشدون:

لن نــركــع فى وجــه الإعصــار
لــن نــســتــســلــم لــلأقــدار
بــخــور رقيَّــة لــم يــنــفــع
وصــراخ الــنســوة لــم يــشــفــع
هــبــى يــا ريــح فــلــن نــركــع
الشعب الشعب هــو الــمــرجــع

مضى يوم ويوم وليلة، وشباب بلدة «الخضراء» وفتيانهـا يعملون بلا كلل، أغمى على بعض الشباب لفرط ما بذلوا من جهد، فكانوا يحملون إلى القريـة لتهتم بهم النساء.

دب الحماس فى نساء القرية وفتيانها ويدأن يشاركن فى العمل كل قدر طاقتها، حتى أن رقيَّة حملت قدراً من الطعام الساخن ووقفت توزع الطعام على الشباب القادمين من الحقول، وعندما سألها أحد

الشباب عن تعويذتها أجابت: لقد أحرقتها وها أنا أعمل كما يعمل الجميع.

مجنون البلدة الملقب بأبى عقل، كان يركض خلف الرجال ذهاباً وإياباً من القرية إلى الحقول، حاملاً عصا يلوِّح بها فى وجه الريح. عندما سأله أحدهم ماذا تفعل يا أبا عقل؟ أجاب: إننى أنال نصيبى من البلل، فلست مجنوناً حتى أبقى جسمى جافاً وأجسام شباب القرية ورجالها كلها مبتلة.

انتشرت طرفة أبى عقل بين العاملين كالنار فى الهشيم.

خرجت الصبايا رغم احتجاج بعض الآباء وبدأن يشاركن فى العمل. . . .

أشرقت الشمس فى صباح اليوم

الثالث... وانتشرت الحرارة فى الأجسام، كان كل شىء قد انتهى... انتصرنا على العاصفة. قال سكان البلدة هذا وأضافوا:

تعالوا نختار لجنة جديدة لإدارة البلدة بعدما أقيل المجلس القديم، تعالوا نغير اسم البلدة لتصبح بلدة «الخضراء الجديدة» قال أحد سكان البلدة...

غيِّروا بالأسماء ما شئتم، شرط أن يبقى الأخضر رمز الحياة والتجدد وثورة العطاء على الجمود... وقف رئيس البلدة أمام سكان الخضراء وقال: أريد نصيبى من الغلال.

أجاب الجميع: لن تنال شيئاً لأنك لم تفعل شيئاً.

لكنكم أعطيتم المجنون.

أجاب أهالى البلدة، أبو عقل نال نصيبه من البلل، وأنت بقيت جافاً. أبو عقل شارك بجنونه وأنت شاركت بقعودك فى منزلك.

وفى المساء كانت حلقة سمر فى ضوء القمر... وكانت الأغنية:

يا بلدتى الخضرا زفِّى لنا البشرى
تيناً وليمونا قمحاً وزيتونا

فترد الصبايا:

ووردة بيضاء للحلوة السمراء

اليوم التالى كان عرس شاب من شباب الخضراء على إحدى الفتيات، فخلال العمل على إنقاذ الموسم اتفقا على الزواج بعد انتهاء الإعصار، وحين بدأت إحدى الصبايا بمطلع الأغنية... يا بلدتى الخضرا... زفِّى لنا البشرى وقبل أن



تصل إلى عبارة. . . ووردة بيضاء للحلوة
السمراء قاطعها شاب وقال:
وردة حـمـراء للحلوة الـبـيـضـاء

احمرَّت وجنتا إحدى الفتيات وكانت
بيضاء الوجه، فكان عرس فى الأسبوع
الثانى. . .

وظلَّت الخضراء خضراء بالحياة والفرح
والتجدد.



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - 45594
مبرق: 20032 - 20668 GREEN BOOK
ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية